# العلاقات الجوهرية

## بين اللغتين العربية والآرامية «السريانية»

## في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبية

— ٤ —

ان المرحلة الطويلة التي عاش فيها العرب الغساسنة متحدين بالسريان في مناطق سورية وغيرها ، أتاحت أعظم فرصة للقاء اللغتين العربية والآرامية السريانية ولاتصالها الطويل ، مما كان له الأثر الفعال في كليهما ، وعلى الأخص في بلاد سورية ، وقد بقيت آثاره الى اليوم دائرة على الألسن السورية ، إذ اصطبغت اللغة العربية المحكية فيها بصفات سريانية كثيرة منذ تلك العصور الى يومنا هذا .

وأهم الآثار السريانية الآرامية في اللغة العربية المحكية في بلاد الشام على الأخص هي ما يأتي :

١ — قلب ( ميم الجمع ) الى نون في ضميري المخاطبين والغائبين مثل ( أبوكن ، أخوكن ، بيتكن ) ، عوض ( أبوكم ، أخوكم ، بيتكم ) ، ومثل ( أبوهن ، أخوهن ، بيتهن ) عوض ( أبوهم ، أخوهم ، بيتهم ) . وذلك مستمد من السريانية الآرامية اذ يقال ( اهوهن ، اسوهن ، صلاهن ) كما يقال ( اهوهم ، اسوهم ، صلاهم ) . وهي صيغة سريانية لا غير .

٢ — اسكان الحرف المتحرك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة ، وقد تنقل حركته الى الحرف الذي قبله مثال ذلك : ( عِلْتَك ، عَمْتَك . و نحمّله ، زلقطه ) وما اليها عوض ( عِلْتُك ، عَمْتُك . نحمله ، زلقطة ) كما هي الحال في بقية البلاد العربية .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٣ – اسكان المتحرك في أول الكلمة وفي مواضع أخرى من ذلك : ( كْبِيْر ، صْفِيْر ، كبار ، نروح ) وهذه توجد في لغة الموصل العامية أيضاً ، وهي مستمدة من السريانية لا غير ، لأن هذه الحالة لا توجد إلا في اللغة السريانية .

٤ – استمداد لغة الشام العربية المحكية الى الآن كلمات كثيرة سريانية صرفة من ذلك : دَقَر أي ( صَدَم ) ، سكر ( أغلق الباب ونحوه ) ، دنَّق ( نظر ) ، فقع ( انفجر ) ، دلف ( بمعنى وكف ) ، شمط ( استل السيف ونحوه ) ، شطح ( بسط ، مدّ ، وامتدّ ) فلش (هدم) ، (وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً ) ، شقل ( نقل ، أخذ ) . ومن الأسماء : شوب ( الحر ) ، شرش ( جذر ) ، شكارة ( ما يزرع لأجل القوت القليل ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً ) ، القاتول ( القاتل ) ، الشاقول ( ما يستعمله المعمار لوزن استقامة البناء ) ، القرطب ( نوع من الشوك معروف ) .

كل هذه الأفعال والأسماء مستمد من السريانية الآرامية ، وهي فيها في هذه الصيغة . ونحن لا ندعي أنها موجودة من عهد الفاسنة العرب كلها ، فلا بد أن هنالك ألفاظاً واصطلاحات دخلت اللغة العربية منذ انتشارها بعد هروب السريانية من الألسنة السورية ، ومن هذا القبيل أيضاً أسماء كثير من القرى والأنهار والأماكن التي ورثت أسماءها من اللغة الآرامية القديمة .

وهذه الأمور تكفي للدلالة على تأثر اللغتين احداهما بالأخرى في سيرهما جنباً الى جنب كل هذه المدة الطويلة ، وتمازج أهليهما في مختلف العصور التأريخية .

والآن ننتقل الى منطقة عربية أخرى هي منطقة نجران في بلاد اليمن السعيدة ، فقد تبوأها العرب المسيحيون منذ أقدم العصور المسيحية ، وكانوا متحدين مع الكنيسة السريانية الآرامية في بلاد سورية وغيرها ، وهو ما جعل اتصالاً آخر مباشراً بين اللغتين العربية والآرامية بعد الاتصالات القديمة التي عرفناها سابقاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في مدينة نجران العربية ازدهرت المسيحية [١] ، وأقيمت الكنائس الجليلة فيها وفي بقية المدن اليمنية أمثال مأرب والهجران [٢] ، وأصابتها الشدة بين سنتي ٥١٩ — ٥٢٤ مذ داهمها ذو نواس اليهودي فمات فيها وفي سائر المدن المجاورة تقتيلاً وتفظيعاً ، واشتهر من الشهداء المسيحيين العرب الشجعان الحارث بن كعب وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال [٣] . وكذلك اشتهرت من الشهيدات عقيلة الحارث الشريفة ( رومي ) ، وقد أثبت خبر شجاعتها المؤرخ ميخائيل الكبير نقلاً عن رسالة شمعون الأرشمي معاصر هذه الحوادث الدامية [٤] .

ان المسيحية في نجران والمدن المجاورة لها كانت مسيحية عربية آرامية بآن واحد ، كما كانت قبلها الوثنية وثنية عربية آرامية حيث عبد العرب وعلى الأخص قبائل حمير ( الشمس ) [٥] وهو ( شمس ) الإله الآرامي القديم ، فتكون القبائل العربية في هذه المنطقة متعلقة بالآرامية في عهديها الوثني والمسيحي ، لأن الفرصة أتيحت في كلا العهدين للقاء اللغتين العربية والآرامية ، غير أنه في العهد المسيحي قويت العلاقة بين هاتين اللغتين الشقيقتين ، لأن أهل حمير أخذوا يكتبون بالقلم الآرامي السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم قبل ذلك [٦] .

ويظهر من سياق حوادث التاريخ أن أهل نجران كان فيهم كثيرون ممن يقرأون اللغة الآرامية ويفهمونها . وقد وجه اليهم العلامة يعقوب السروجي الملفان رسالة ضافية يشجعهم فيها على الثبات في ايمانهم ومكافحة المعتدي الأثيم

(١) الطبري مجلد ١ ص ٩١٨ وابن خلدون ، العبر ٢ ص ٥٩ .
(٢) الدرر النفيسة لضبطة البطريرك أفرام برصوم ص ٣٩٣ و ٤٩١ — ٤٩٢ .
(٣) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .
(٤) ميخائيل الكبير ص ٢٧٣ — ٢٧٦ .
(٥) ابن العبري مختصر الدول ص ١٥٩ .
(٦) المكتبة الشرقية للسمعاني المجلد ٣ ص ٦٠٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالصمود في حومة الاستشهاد وذلك في شدة ذي نواس اليهودي سنة ٥١٩ م . وكتبت هذه الرسالة بالسريانية وهذا مطلعها : « الى المجاهدين المختارين ، محبي النصر الحقيقي ، عبيد الله المؤمنين الصادقين .... في نجران مدينة الحميريين » [١] وذكر من أساقفة نجران العرب قس بن ساعدة ( الخطيب العربي المشهور ) كما ذكر من أساقفتها السريان الأسقف فولا الذي كان قد توفي قبل اضطهاد ذي نواس ، فأخرجت عظامه من القبر وأحرقت بأمر هذا الطاغية [٢] .

وعلى ذكر كتابة الحميريين بالخط السرياني الآرامي نعود فنقول مع الأستاذ ولفنسون : إن العرب في عهد جاهليتهم الوثنية كانوا يستعملون الخط النبطي الآرامي المتأخر ، وكانت حضارة العرب الوثنية مرتبطة بالنبط ارتباطاً وثيقاً ، وكان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية التي كانت لغة العمران والدين عند نصارى الشرق ، وكان أهل نجران على الأخص ، وهم عرب خلص ، يعرفون اللغة الآرامية [٣] ، وعلى الأخص في طقوسهم الدينية ، واتصالهم بالكنيسة الأم في سورية وفي غيرها من الأصقاع الكنسية [٤] ، وهذا كاف لتأييد رأينا في اتصال اللغتين الساميتين ، وتبادل المادة بينهما كما سنرى فيما يأتي :

وكانت في العراق قبائل عربية كثيرة تسير تحت راية الكنيسة السريانية الأرثوذكسية متحدة معها بالإيمان والعمل ، وأشهرها قبائل تغلب وطي ونمر واياد ، ومن أشهر أساقفتها الأقدمين العلامة الفيلسوف أحودامه ، وكان أسقفاً للمنطقة المعروفة بـ ( باعرباي ) أي ديار العرب ، وهي الواقعة بين الموصل وسنجار

(١) المتحف البريطاني - المخطوطات السريانية رقم ١٤٧٢٦ ١١ ورقم الرسالة في هذه المجموعة ١٥ وخمائل الريحان بقلمنا ص ٤٣ - ٤٥ .
(٢) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .
(٣) ولفنسون ص ٢٠٢ .
(٤) تحقيقات تاريخية ص ٢٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونصيبين [١] ، وبعد أن قلده مار يعقوب البرداعي مطرانية بلاد المشرق العامة سنة ٥٥٩ م سار بنفسه الى جنوبي العراق ، فدعى بقية العرب الرحل الى النصرانية ، فهدى جماهير كثيرة منهم الى المسيحية ، وأنشأ لهم ديرين وعدة كنائس [٢] . وهذا يدل على أن هذا المبشر كان يتكلم العربية كما كان يتقن لغته السريانية ، ومن المؤكد أنه أنشأ لهم الشعائر الدينية ، هو والكهنة الذين رسمهم لهؤلاء العرب ، باللغة العربية ، كما اشتهر بعده من الأساقفة العرب جرجس أسقف العرب الفيلسوف الذائع الصيت [٣] ، وسنكتب عنه دراسة وافية إن شاء الله .

على أن أشهر القبائل العربية العراقية هي قبيلة تغلب ، وقد حدثنا التاريخ عن وحدتها مع الكنيسة السريانية الأم في العراق ؛ ورسم البطاركة الانطاكيون السريان لها أساقفة كثيرين ، يتصل بعضهم بنسب عربي والبعض الآخر ينحدر من محتد سرياني ، ومن أولئك الأساقفة يوسف التغلبي الذي رسمه البطريرك يوليان الثالث ( ٦٨٨ — ٧٠٩ م ) [٤] . ورسم البطريرك قرياقس التكريتي ( ٧٩٣ — ٨١٧ ) ثلاثة أساقفة لهؤلاء العرب ، أولهم الأسقف يوحنا للكوفة ، ثم الأسقف داود ، ورسمه في ( دقلا ) [٥] عاصمة التغالبة ، والأسقف عثمان العربي ، وهو الخامس والأربعون في عداد أساقفته [٦] ، ورسم البطريرك التلمحري ( ٨١٨ — ٨٤٥ ) خمسة أساقفة للعرب التغالبة هم : يوحنا من دير قرقفتا ، وتوما من دير بيرقوم ، وحبيب من دير كنوشيا ، ويوسف ويسمى ( مرزوق ) ، وجرجس ، وكذلك رسم لبقية العرب أساقفة آخرين

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٩٥٩ الطبعة الأولى وقصته السريانية المخطوطة .
(٢) قصته السريانية المخطوطة .
(٣) اللؤلؤ المنثور ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .
(٤) التاريخ الكنسي لابن العبري ، ترجمة البطريرك يوليان الثالث .
(٥) دقلا كلمة سريانية معناها النخل .
(٦) ثبت البطاركة والأساقفة في تاريخ ميخائيل الكبير ص ٧٥٢ - ٧٦٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أشهرهم يوحنا أسقف العرب الرحل ، ويوحنا أسقف تدمر ، وسبرو من دير أطو [١] . ورسم البطريرك يوحنا الخامس ( ٨٤٧ — ٨٩٤ م ) سبعة أساقفة للعرب من بني معد والتغالبة والنجرانيين ( هم بقايا مسيحيي نجران الذين شتّتهم ذو نواس اليهودي في اضطهاده لهم سنة ٥١٩ — ٥٢٤ م ) وهم : الأسقف يعقوب للتغالبة وأحودامه أسقف بني معد ، وطيبري لبني معد ، وشمعون لبني نجران وبني معد من دير كنوشيا ، وماكوس للتغالبة ، ويوحنا من دير مار زكى لبني معد ، ويوحنا للتغالبة الضاربين في بادية الموصل ، ومثلها فعل البطاركة أغناطيوس الثاني ، وتيودوسيوس ، وديونسيوس الثاني ، ويوحنا السادس ، وباسيل الثاني من سنة ٨٧٨ الى سنة ٩٣٥ م [٢] ، فرسموا أساقفة كثيرين لهذه القبائل العربية المتحدة بالكنيسة السريانية في سورية والعراق .

وكان معظم هؤلاء الأساقفة يتنقلون مع قبائلهم من دار الى دار ، يسكنون الخيام ، ويقيمون الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وقد حدّثنا الفيلسوف يحيى بن جرير التكريتي منهم قال : « وقد كان في العرب نصارى كبني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ، ومعهم أسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم ، وينقل المذبح أعني الدفة المقدسة ( الطبليث ) [٣] من موضع الى موضع ، الى سنة ثلاثماية للعرب ( ٩١٢ م ) ، فوصل الى تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليتتاروا بها ، وكان منهم رجل دبّن حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الأسقفية ، وكان يقدس لهم باللفظ العربي ، وكان يقدس لهم على الإنجيل [٤] » .

---

(١) الثبت نفسه ص ٧٥٤ — ٧٥٥ .
(٢) الثبت نفسه .
(٣) هي قطعة من الخشب تكرس ليوضع عليها القربان المقدس .
(٤) كتاب المرشد ليحيى بن جرير التكريتي الباب ٥٤ ( مخطوط ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نستنتج من هذا كله أن العربية والآرامية ، سارتا جنباً الى جنب في جميع العصور منذ عهد الوثنية الى قرون عديدة من عهد للمسيحية ، حتى بعد انتشار الاسلام ، مما أثر في كليهما تأثيراً عظيماً وعلى الأخص العربية التي أفادت من اختها الآرامية فوائد عظمى . قال الأستاذ محمد عطية الأبراشي : « في الوقت الذي كان للغة الآرامية الغلبة والانتصار أثرت تلك اللغة الآرامية في اللغة العربية تأثيراً عظيماً ، وكلما أمعنا في الفحص والاستقصاء أتضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التي كانت تستعمل للتعبير عن الأفكار والمواد التي تدلّ على درجة معينة من المدنية استعيرت من اللغة الآرامية ، ومن هذا نستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التي كانت لدى جيرانهم الآراميين في الشمال وأنهم قد تأثروا بها »[1] .

ونختم بحث العلاقات التأريخية بين اللغتين العربية والآرامية بقول الأستاذ الأبراشي أيضاً وهو : « إن اللغة العربية الفصحى . . . نشأت من الآرامية في الشمال والسبئية في الجنوب ، إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية في القرون القريبة من الإسلام »[2] . ونضيف عليه قولنا : إن ذلك حديث بفعل الاتصال الدائم الذي رأيناه بين هاتين اللغتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التأريخية الى العصور المتأخرة .

## ٥ ــ العلاقات الفنية في الأبجدية

ان العلاقات الفنية في نشوء الأبجدية بين اللغتين الآرامية والعربية هي من الأهمية بمكان عظيم ، بل هي الناحية الأعظم إشراقاً والأرفع شأناً في كيفية

(١) لغة العرب وكيف تنهض بها لمحمد عطية الابراشي طبع مصر سنة ١٩٤٧ ص ١١٤ – ١١٥ والآداب السامية له طبع سنة ١٩٤٦ ص ١٠٨ .
(٢) لغة العرب للأبراشي ص ١٢٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعاونهما وسيرهما جنباً الى جنب في جميع عصورهما التاريخية ، وتآزرهما على الحياة والنمو والتكامل ، وانبثاق القوى الحيوية وانسكابها من إحداهما في الأخرى ، فما هو الحق التاريخي الذي تحوزه كل من الأبجديتين ؟ وما هو التسلسل الزمني والفني الذي سار فيه كل من القلمين ، كل ذلك سندرسه في سطورنا التالية :

يذهب علماء الساميات الى أن أقدم أبجدية سامية هي الأبجدية الكنعانية [١] ، وعنها نشأت بقية الأبجديات في عصور متفاوتة ، فصدرت الأبجديات الآرامية [٢] والعبرية [٣] ، وفي العصور القريبة من الإسلام انبثقت الأبجدية العربية منحدرة من الأبجدية النبطية الآرامية [٤] ، ونحن لا يهمنا هذا التدرّج التاريخي في بحثنا هذا وإن كانت فيه هنات لا يصح التغاضي عنها ، إنما تهمنا العلاقة الوثقى بين الأبجديتين الآرامية والعربية ليكون بحثنا حائزاً على كل صفاته الموضوعية الكاملة .

من البديهي أن علماء الساميات أصدروا قرارهم السابق بشأن التدرج التاريخي في نشوء الأبجديات السامية استناداً على الكشوف الأثرية التي وجدت الى الآن ، ولكن الكل يعلم أن هذه الكشوف ما زالت قليلة جداً ـ رغم كثرتها ـ بالنسبة الى ما ستحدثه الكشوف الأثرية القادمة في المستقبل ، لذلك لا يسوغ الركون الى تقرير يستند على مصادر ناقصة ، قد تنقلب رأساً على عقب في لحظة واحدة ، اذا اكتُشف رقيم واحد يضاد معلوماتنا الحاضرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن تقريراً يستند على مصادر ما زالت آخذة في الازدياد والتكامل يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام لا يسوغ أن تُبنى عليه حقيقة علمية تاريخية

(١) ولفنسون ص ٥٢ .
(٢) فيه .
(٣) فيه ص ٥٣ .
(٤) فيه ص ٢٠١ احمد رضا ص ١٧ و ٣٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هامة كأصالة الأبجديات وتقديم بعضها على البعض الآخر ، ولذلك نقول إن لدينا نصوصاً تاريخية هامة من القرن السابق للميلاد والقرنين اللذين بليانه تذهب الى أن الآراميين هم أول من اخترع الكتابة ، وبالتالي تجعل الأبجدية الآرامية أول أبجدية سامية ، وتدّعي أن الأبجدية الكنعانية هي الصورة الأولى البسيطة للأبجدية الآرامية ، ونورد هنا نصين من تلك النصوص بتحفظ غير جازمين الآن بصحتها المطلقة . قال ديودروس الصقلي المؤرخ الشهير الذي عاش في القرن السابق للميلاد : « إن اختراع الكتابة يعود الفضل فيه الى الآراميين » . وقال اقليمبس الإسكندري في القرن الثاني للميلاد : « ذهب كثيرون من القدماء الى أن الآراميين هم الذين اخترعوا الكتابة »[1] . وعلى هذا الأساس نقول إن لم تكن الأبجدية الآرامية أقدم أبجدية سامية فهي حتماً من أقدمها[2] .

أما العلاقة الفنية بين الأبجديتين الآرامية والعربية فتنحصر في أربع وجوه هامة هي:

١ — انحدار الأبجدية العربية من الأبجدية الآرامية .

اختلف المؤرخون العرب في المصدر الذي انحدرت منه الأبجدية العربية ، فذكر معظمهم أنها منحدرة من الخط المسند[3] . ولكننا لا نستطيع إقامة دليل ملموس على صحة هذا الرأي ، لأننا لا نحوز آثاراً خطية تؤيده ، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة رقم حجرية عثر عليها المستشرقون في فترات متفاوتة من الزمن ، وهي تحوي دلائل ملموسة تنير طريق البحث في هذا الموضوع ، وبعد دراسة هذه الرقم الحجرية الهامة قرّر علماء الساميات أن الأبجدية العربية اشتُقت من الأبجدية النبطية الآرامية[4] . ولا نعدم شهادة تاريخية عربية هامة تؤيد هذا

(١) اللمعة الشهية . ليوسف داود . ج ١ ص ١٠١ — ١٠٢ .
(٢) اللؤلؤ المنثور . للبطريرك أفرام برصوم ص ٢٦ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ - مطبعة مصطفى محمد . صبح الاعشى ص ١٣ .
(٤) وليفنسون ص ٢٠١ واحمد رضا ص ١٧ و ٣٨ .



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرأي . قال البلاذري في فتوح البلدان : « اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقة وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدوة[1] فوضعوا الخط ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دوحة الجندل ، يأتي الحيرة ، فيقيم بها الحين ، وكان نصرانيًا ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب ، فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ، ثم أراهما الخط فكتبا »[2] .

واذا دققنا هذا النص التاريخي الهام نجد أنفسنا أمام شهادة صريحة تؤيد ما ذهب اليه علماء الساميات وهو أن ( النفر ) الذين ( اجتمعوا ) ببقة ( وضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ) . والأصح أن يقال أن هؤلاء الثلاثة ( تعلموه ) لا وضعوه .

أما الخط المسند فانه خط حمير[3] ، ومن المعروف أن الحميريين استبدلوا الخط المسند بالخط السرياني[4] . والمعروف أيضاً أن الخط المسند الحميري هو خط مي ، وقيل إن الخط المسند منقول من الخط الكنعاني مباشرةً[5] ، إلا أن ثقات المستشرقين ينكرون ذلك ، ويؤيدون أن خطوط شمال بلاد العرب منقولة مباشرةً عن الخط الآرامي اعتماداً على ما كان بين الآراميين وهذه القبائل

(١) ذكر ابن خلدون في مقدمته غير هؤلاء ( النفر ) ص ٤١٨ .
(٢) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧١ .
(٣) الفهرست لابن النديم ص ٨
(٤) المكتبة الشرقية للسمالي الجزء ٣ ص ٦٠٣ .
(٥) وليفنسون ص ١٧١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

العربية من القربى والجوار [١] ، وهذا الرأي نرجحه ، لأن القبائل العربية لم تلتق مطلقاً بالمدنية الكنعانية ، بل امتزجت بالمدنية الآرامية كما رأينا في أوائل بحثنا هذا .

أما صدور الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية فنرى أنه تمّ على مراحل وفي فترة تقارب القرنين من الزمن ، وقد ظهرت رقم أثرية هامة أنارت الطريق أمام الباحث في هذا الموضوع .

إن هذه الرقم الأثرية توضح لنا كيف تولدت الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية ، ويتم لنا ذلك اذا قابلنا بين القلم النبطي المتأخر والقلم العربي القديم ، وأشهر الرقم التي يجب دراستها في هذا المضمار هي خمسة نقلها المستشرقون نيبيه آبوت [٢] وسفجت ووايت [٣] ، وقد حظينا بدراسة وافية لبعضها قام بها سفجت ووايت وهو ما يساعدنا على الافادة منها في موضوعنا ، ونقلها أيضاً وعلق عليها الأستاذ اسرائيل وليفنسون [٤] كما نقلها الأستاذ ناصر النقشبندي في مقاله ( منشأ الخط العربي ) [٥] .

أما كيفية المقابلة بين هذه النصوص الأثرية فتتم بملاحظة القلم النبطي المتأخر ، والقلم العربي القديم ؛ ويمكن وضع هذين الرقيمين ( النبطي المتأخر والعربي القديم ) أنموذجاً للملاحظة والمقابلة والاستنتاج ، أما النبطي المتأخر فانه رقيم أم الجمال الأول الذي عُثر عليه في أم الجمال الواقعة في جنوب حوران في شرق الأردن ، وهو يعود الى قبر فهر بن جذيمة ملك تنوخ [٦] ، وتاريخه نحو سنة ٢٥٠ م ،

(١) ولفنسون ص ١٧١ .
(٢) نيبيه آبوت لوح ١ ص ٥ .
(٣) سفجت ووايت ص ١ — ٥ .
(٤) ولفنسون ص ١١٠ و ١٩١ ، ٩٢ .
(٥) مجلة سومر المجلد ٣ الجزء ١ ص ١٣٠ — ١٣٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٧
(٦) درسنا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه بحسب نظم اللغة السريانية الحاضرة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأما العربي القديم فانه رقيم النمارة الذي عُثر عليه في موقع النمارة بجبل الدروز وتاريخه نحو سنة ٣٢٨ م ، وهو يعود لقبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب في الحيرة [١] ، وملاحظة هذين الرقيمين تعطينا فكرة كاملة في تولد الخط العربي ، فان معظم الحروف متشابهة تقريباً ، وهذا التشابه يظهر في شكل الحروف ، ومن المعروف أن الخط النبطي القديم كانت حروفه منفصلة بعضها عن بعض على ما نراه في رقيمي ( مرانا ملك النبط ) [٢] و ( هجرفس الملك ) [٣] . أما هذا الرقيم وما اليه [٤] فنجد فيه كثيراً من الحروف متصلة بعضها ببعض ، وهو ما يوضح كيفية تطور هذا القلم حتى تولد منه القلم العربي ، ويظهر لنا هذا التطور اذا وضعنا ازاءه رقيم النمارة الذي يُعد أقدم نص عربي ، فحروفه في معظم الأحوال متصلة على غرار الرقم النبطية المتأخرة ، وهي تتشابه تشابهاً عظيماً .

ولننتقل الى دراسة رقيمين آخرين هما رقيم زبد الذي وجد في خربة كنبسة بين قنسرين والفرات بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية ، ويعود تاريخه الى سنة ٥١٢ م ورقيم حران الذي وجد في المنطقة الشمالية من جبل الدروز مكتوباً باليونانية والعربية على حجر فوق كنيسة قديمة ، ويعود تاريخه الى سنة ٥٦٨ م ، ويعتبر أول نص عربي كامل في جميع كلماته وأسلوبه ، ففي دراسة هذين الرقيمين نجد تطوراً عظيماً في أسلوب الخط العربي وسيره أشواطاً هامة في الاستقلال عن مصدره الخط النبطي ، فالحروف في جميع الكلمات متصلة تماماً ، وقد اتخذت اتجاهاً مستقلاً خاصاً ، ولم يبق فيها من الشكل النبطي إلا الشيء القليل ، تجده في بعض الحروف فقط وهو الدلالة الباقية على مصدره الأصلي النبطي .

---

(١) درسنا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه وعلقنا عليه سابقاً .
(٢) وليفنسون ص ١٤٣ .
(٣) وليفنسون ص ١٤٤ .
(٤) وليفنسون ص ١٤١ و ١٤٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واذا تقدمنا في الزمن فاستعرضنا رقيم أم الجمال الثاني ، الذي يعد أحدث نص عربي عُثر عليه حتى الآن ، ويعود تاريخه الى منصرم القرن السادس الميلادي ، نجد أمامنا كتابة عربية مستقلة تمام الاستقلال ، مع الاحتفاظ بأشباح باهتة من الشكل النبطي ، وهذا آخر تطور للخط العربي بعد اتخاذه صبغته الخاصة .

وأقدم صورة للخط العربي المستقل هو الخط الكوفي الذي كان يسمى أيضاً بخط الجزم [١] ، واذا تأملنا هذا الخط نجد فيه الأشباح النبطية لم تزل ماثلة ، ثم انتقل هذا الخط من الحيرة الى مكة ، وقيل وصل من اليمن الى الحيرة والأنبار بوساطة كنده والنبط [٢] . وهكذا لم يزل الخط العربي يتطور وينحو جانب السهولة والتبسيط حتى وصل الى حالته الحاضرة ، كما أن الخط الآرامي أيضاً تطور تطوراً محسوساً فاشتقت منه عدة أقلام وأشكال مختلفة ذكر بعضها ابن النديم في فهرسته [٣] .

وأجلّ أقلام الخط الآرامي المتأخر الاسطرنجيلي ، ويقال له الخط الرهاوي أو الثقيل ، وقد استنبطه بولس بن عرقا أو عنقا الرهاوي في مطلع القرن الثالث ، وقد تأثر به الخط الكوفي تأثراً عظيماً ، بل قيل إن أصل الخط العربي الكوفي هو الخط الأسطرنجيلي نفسه [٤] . إلا أننا نعتقد أن الخط الاسطرنجيلي هذا انتقل في القرن الثالث الى اليمن فاحتلّ كتابات آل نجران [٥] ثم وصل الى الحيرة القريبة من الكوفة ، والأظهر أن الخط الكوفي بعد أن

(١) صبح الاعشى جزء ٣ ص ١٤ واحمد رضا ص ١٣ و ٤٣ و ٦٥ .
(٢) اسرائيل ولفنسون ص ١٩٨ واحمد رضا ص ٣٩ و ٥٧ .
(٣) الفهرست ص ١٨ .
(٤) اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ الطبعة الاولى . حمص سنة ١٩٤٣ .
(٥) المكتبة الشرقية لسمعاني ص ٦٠٣ الجزء ٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أخذ عناصر من الخط النبطي تأثر بالخط الاسطرنجيلي وأخذ أشكاله عنه ، وذلك عن طريق نجران والحيرة . وقد علمنا أن اليمن والحيرة كانتا مركزين للكتابة والثقافة [1] وتأثر الخط العربي بهذا الخط الآرامي معقول جداً ، بل إنه صواب ، لأن اشكال الخطين المتقاربة تؤيد ذلك ، وقد دام استعمال الخط الاسطرنجيلي عند السريان الى المئة الرابعة عشرة ، على أنه نشأ من خط سرياني آخر في القرن التاسع ، وهو الخط السرياني الغربي الذي تطور نحو السهولة واحتفظ الآن بالخط الاسطرنجيلي كاملاً لتزيين رؤوس الفصول [2] في الكتب الخطية الهامة ، كما نشأ عن الخط الاسطرنجيلي أيضاً ما يسمى بالخط السرياني الشرقي ، ونشأت أشكال أخرى للخط السرياني ما زالت ماثلة في المخطوطات الكثيرة النفيسة التي تملأ خزائن الشرق والغرب .

ولو عدنا مرة أخرى نستعرض هذه النصوص الأثرية الخمسة ، لرأينا أعظم نصر يحققه التعاون الوثيق بين الآرامية والعربية ، فالنص الأول ( رقيم أم الجمال الأول ) هو آرامي الأبجدية واللغة ، شأنُ عدد كثير من الرقم الأثرية المكتشفة في مواطن الآراميين الأول . ولكنه ينقل الينا حادثة عربية صرفة . أو بالحري إنه يُعنى بتخليد علم عربي خالص ، والنص الثاني ( رقيم النمارة ) نجد فيه لوناً جديداً من ألوان الحياة ، فانه آرامي عربي بلغته وأبجديته ، أي ان اللغة التي كُتب فيها وردت فيها مفردات آرامية الى جانب المفردات العربية ، وأبجديته ما زالت محافظة على لونها الآرامي ، إنما ظهرت فيها بوادر أبجدية فتية جديدة هي طلائع الأبجدية العربية ، والنص الثالث ( رقيم زبد ) يشبه النص الذي سبقه بامتزاج اللغتين الآرامية والعربية مادةً وحرفاً ، إلا أننا نلاحظ زيادة في جنوح الناحية العربية الى التبلور والاستقلال ، أما النص

(١) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧٧ وصبح الاعشى جزء ٣ ص ١٢ و ١٣ و ١٤
(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ و ٢٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الرابع ( رقيم حران ) فقد زالت منه المفردات الآرامية ، وبقيت فيه صيغتها الحرفية ماثلةً ، ومثله النص الخامس ( رقيم أم الجمال الثاني ) نجد فيه تحرر العربية من الآرامية مادةً وحرفاً ، ما خلا ما بقي من الدلائل الشكلية التي تعيد الى أذهاننا صور الأبجدية الآرامية بشكل ضئيل ، وهذا لعمري أعظم دليل على سير اللغتين الشقيقتين في طريق النمو والاكتمال .

وعند انتشار اللغة العربية في مواطن الآراميين في سورية والعراق ، على أثر الفتوحات العربية ، نشأت طريقة جديدة عند الآراميين المسيحيين ، وهم السريان ، لكتابة العربية ، وهي التي تسمى ( الكَرشوني ، أو الجَرشوني بالجيم المصرية ) وهي أن تكتب اللغة العربية بالحروف السريانية ، وذلك منذ منتصف القرن السابع الميلادي . وكأني بالسريان أرادوا بهذه الطريقة إعادة مجد أبجديتهم التي كُتبت بها اللغة العربية في عهد كتابتها الأولى . وهذه الطريقة ما زالت مستعملة عند عموم طوائف السريان الى يومنا هذا ، فتجد جميع طقوسهم وكتبهم المقدسة الكنسية المترجمة الى العربية تُكتب بالأبجدية السريانية . ولدينا نسخ كثيرة من هذا النوع قديمة وحديثة في جميع كنائسنا السريانية .

أما لماذا سميت هذه الطريقة من الكتابة بـ ( الكرشوني ) فلم يتصل بنا تعليلها من السلف ، مع أنها قديمة جداً كما علمنا الآن ، والأظهر أنها اتخذت اسمها ( الكرشوني ) من ( قريش ) . ونحن نعلم أن القرشيين في مستهل القرن السابع كانوا يؤمون أمصار الشام وغيرها لغايات تجارية ، ومن المعلوم أن التجار يحتاجون الى سجلات ودفاتر حسابية وغيرها في عملهم التجاري ، ولما كانت الأبجدية العربية في مستهل القرن السابع غير شهيرة على الأقل ، يكون من المؤكد أن تجار قريش كانوا يكتبون سجلاتهم بالحرف الآرامي واللغة العربية ، وربما شاعت هذه الطريقة في ربوع الشام قبل غيرها ، ولما كان القرشيون هم الذين روّجوها واستعملوها أكثر من غيرهم نسبت اليهم . ولكن كلمة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

( كرشوني ) لا تحمل طابعاً عربياً في صيغة النسبة بل تحمل طابعاً سريانياً آرامياً صرفاً ، لأن صيغة النسبة باللغة السريانية كثيراً ما تكون بالنون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق ، وهكذا وضعت في هذه اللفظة النون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق الملغاة ، فتكون لفظة ( كرشوني ) والحالة هذه منسوبة الى قريش العربية ، وبذلك عادت الأبجدية الآرامية السريانية الى معانقة صديقتها القديمة اللغة العربية ، ولما كان حرف ( القاف ) يقلب في اللهجات العربية المحكية الى ( ج ) كالجيم المصرية ( مثل القاف في : قلب ، قبر ، قصر ، ويقال فيها : كلب ، كبر ، كصر ) ، قيل في نسبة هذه اللفظة ( كرشوني ـ لا قرشوني ) كما كان يجب أن يقال فيها وهذا أوجه تعليل نراه الآن .

ولما كان في الأبجدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً فقط ، وهذه ليست كافية لكتابة اللغة العربية التي تحتاج الى ثمانية وعشرين حرفاً ، عمد السريان الى الطريقة التي اعتمدها العرب أولاً عندما استمدوا الأبجدية السريانية الآرامية للغتهم ، فصوروا كل حرفين متجانسين شكلاً بحرف واحد ، فصوّروا التاء والثاء بحرف ( التاو ) ، والدال والذال بحرف ( الدولث ) ، والصاد والضاد بحرف ( الصودى ) ، والطاء والظاء بحرف ( الطيث ) ، والجيم والغين بحرف ( الجومل ـ بالجيم المصرية ) ، والكاف والخاء بحرف ( الكوف ) . وميّزوا بين هذه الحروف بطريقة الترقيق والتفشية السريانية المعروفة عندهم ، فوضعوا نقطة حمراء فوق الحرف القامي كالدال ، ( ونقطة حمراء تحت الحرف اللين كالذال ) وهكذا أعادوا الحروف الآرامية السريانية الى سابق عهدها مع اللغة العربية .

( يتبع ) ( الموصل ) غريغوريوس بولس بهنام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net